معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 19/ العدد 1 (جوان 2024): ص.ص: 468-483

التحليل التداولي للخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: خطبة جمعة أنموذجا

Pragmatic analysis of the reformist discourse of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi: a Friday sermon as an example

ط.د. عمار الغربي [1] * أ.د. عيسى طيبي [2]

[1] مخبر قضايا الأدب المغاربي، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، البويرة 10000، الجزائر، elgh.omaro@gmail.com

[2] كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، البويرة 10000، الجزائر، Aissataibi71@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/25؛ تاريخ القبول: 2024/06/05؛ تاريخ النشر: 2024/06/15

ملخص:

شهدت النظرية اللسانية المعاصرة تطورات متسارعة، تمخضت من جراء السعي الحثيث لفهم الظاهرة اللغوية والتي بدورها أفرزت تيارات لسانية عديدة على رأسها التيار التداولي باعتباره مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، أين يشترط نجاح أساليب استخدام العلامات اللغوية في إطار السياقات المختلفة التي تتشكل فيها مسارات الخطاب حتى يؤتي أكله مثمرا نجاح العملية التواصلية بمفهومها الحديث من تبليغ وتأثير في المتلقي، فالتداولية لم تقص الأشخاص المتكلمين ولم تهمل الكلام ولم تغفل عن السياق، وقد تميزت الخطابات الإصلاحية للشيخ البشير الإبراهيمي بجمالية اللغة ودقة العبارة وسلامة التراكيب وقوة الحجة، ما جعلها صالحة لتطبيق النظريات الحديثة عليها، وتهدف هاته الورقة للكشف عن الوشائج القائمة بين النص ومؤلفه من جهة وعلاقة التأثير والتأثر بين الكاتب والمتلقين من جهة أخرى مع مراعاة السياق الخارجي، وذلك من خلال البحث في العناصر اللغوية وغير اللغوية التي ينجز فيها الحدث الكلامي من خلال أنموذج لخطاب إصلاحي للشيخ البشير الإبراهيمي يتمثل في خطبة جمعة ألقاها بأحد المساجد، وقد تم التوصل لجملة من النتائج أبرزها أن الأفعال الكلامية في خطب الإبراهيمي الإصلاحية تتعدى الكلام إلى مستوى دلالي ذو

* المؤلف المرسل.

أبعاد متعددة نجحت في التأثير في المتلقين.

كلمات مفتاحية: الخطاب؛ الإصلاحي؛ الإبراهيمي؛ الأفعال الكلامية؛ التداولية.

Abstract:

Contemporary linguistic theory has witnessed rapid developments, resulting from the relentless pursuit of understanding the linguistic phenomenon, which in turn has produced many linguistic currents, on top of which is the pragmatic current as a linguistic doctrine that studies the relationship of linguistic activity with its users. In order for it to bear fruit, the success of the communicative process in its modern concept of informing and influencing the recipient, the deliberative did not cut the speakers and did not neglect the speech and did not lose sight of the context, and the reformist discourses of Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi were distinguished by the beauty of the language, the accuracy of the phrase, the integrity of the structures and the strength of the argument, which made it valid for the application of modern theories On it, and this paper aims to reveal the connections between the text and its author on the one hand, and the relationship of influence and vulnerability between the writer and the recipients on the other hand, taking into account the external context, through researching the linguistic and non-linguistic elements in which the verbal event is accomplished through a model of a reformist discourse of Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi. It is represented in an assembly sermon he delivered in a mosque, and a number of results were reached, the most prominent of which is that verbal acts in Al-Ibrahimi's reformist sermons go beyond speech to a semantic level with multiple dimensions that succeeded in influencing the recipients.

Keywords: the speech; Al-Islahi; Al-Ibrahimi; verbal acts; deliberative.

مقدمة:

ظل علم اللسانيات خلال فترة من الزمن يتفرع إلى قسمين هما: النحو التركيبي ويدرس علاقة العلامات اللغوية بعضها ببعض، والبعد الدلالي الذي يبحث في علاقة العلامات اللغوية بمعانيها، وهذان الفرعان يطمحان لوصف عمل اللغة البشرية، وبدت الضرورة ملحة لتيار

لغوي مرن يراعي خصوصية اللغة، فنشأ صنف ثالث أطلق عليه اللغويون اسم التداولية، يُعنى بعلاقات العلامات اللغوية بمستخدميها، أين تم إيلاء نظرية التلقي بالغ الاهتمام.

إن ما تظهره التداولية للعيان هو أهمية التأثير والتأثر الذي يطرحه الخطاب، فإذا أصبحت وظيفة التأثير في الآخرين أكثر من إبلاغهم فهذا يعني أنه من الصعوبة بمكان فهم الخطاب بمجرد إرجاعه لقائله، فالتداولية تنظر إلى اللغة باعتبارها نشاط يمارس من قبل المتكلمين ضمن إطار سياقي لإبلاغ السامعين وهي بهذا لا تدرس اللغة وكأنها وعاء مجرد من القواعد وإنما تدرسها بوصفها كيانا مستعملا ضمن سياق معين –الشروط الخارجية –.

وينضوي البحث في اللسانيات التداوليةla linguistique pragmatique ضمن مجال الدراسات اللغوية الحديثة، حيث يظهر جانبان في تناول اللغة هما "الدرس والاستعمال، فأما الدرس فقد سعى إلى الكشف عن تكوين كل لغة بواسطة النظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها نظرا تحليليا يعتمد على التبويب والتصنيف والتأصيل، وكان لابد لهذا الاتجاه التأصيلي أن يعتمد على تجريد المفاهيم وافتراضها عند عدم وجود ما يقابلها في الاستعمال"[1]، فالتداولية تعنى بالعناصر اللغوية وغير اللغوية التي ينجز فيها الحدث الكلامي من لدن أشخاص متكلمين وكلام وملابسات وظروف الكلام – سياق-، ومن هنا جاءت اللسانيات التداولية لتدرس اللغة في الاستعمال l'étude de l'usage du langage، ويطرح التحليل التداولي عدة تساؤلات أهما: من المتكلم؟ من المخاطب؟ ما زمن الخطاب؟ أين حدث الخطاب؟

وقد ارتأيت اختيار خطبة إصلاحية مختصرة للتحليل تتوافق مع طبيعة البحث، مع محاولة الإجابة عن أهم التساؤلات التي تطرح في هذا المجال وهي كالآتي:

من المتكلم؟ ما دلالات الخطاب الذي يوجهه؟ ما هي الظروف المحيطة بنشأة بالموضوع؟ هل نجح المخاطب من خلال موضوعه في إيصال رسالته بالشكل المطلوب؟ ما مدى تأثر المخاطب بالذي يسمع؟

ولمقاربة هذا الموضوع، لابد من ربط الخطبة مع الخلفية الفكرية والتكوين العلمي للخطيب والتركيز على فعل التلفظ الأكثر تواترا -القوة الإنجازية-، والفعل الإنجازي، ومراعاة

(1) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسن، ط01، عالم الكتب، لقاهرة، 1998، ص03.

السياق الخارجي المحيط بالموضوع، حتى يتسنى الكشف عن جماليات الخطاب الإصلاحي وربطه بظروف نشأته. ومن ثم نخلص للفعل التأثيري الذي هو نتاج هذه العملية المتقنة.

إرهاصات ومفاهيم:

مفهوم التداولية:

تعنى الدراسة التداولية بمستويات متداخلة كقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحكمة في إنتاج وفهم الخطاب، فهي بذلك تدرس كل جوانب المعنى، وتعرف على أنها "دراسة للتواصل اللغوي بصفة خاصة، العلاقات بين الجمل والسياقات والأحوال التي استعملت اللغة فيها" [1].

وفيما يلي مخطط مبسط يوضح مفهوم التداولية:

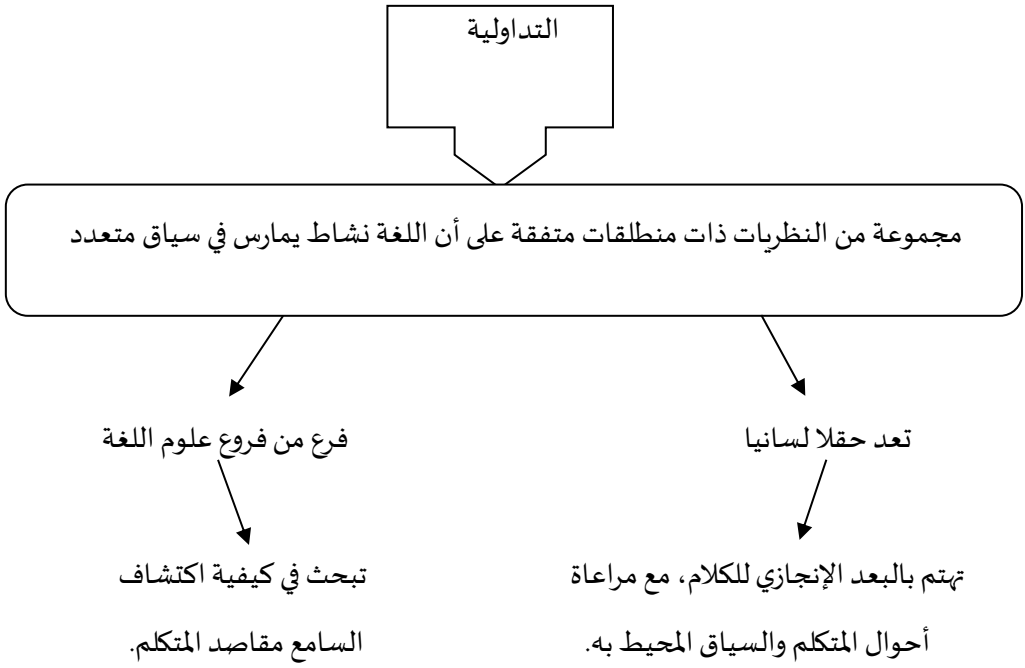

التداولية ليست علما لغويا بالمعنى التقليدي يكتف بوصف وتفسير مكونات النص على مستوى اللغة، ولكنه يركز على دراسة اللغة أثناء الاستعمال، أي إطار عملي يهتم " بتحديد

(1) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، - دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ط01، 1431، 2000، ج01، ص43.

الوظائف اللغوية التي تكشف البنى الأساسية ويقوم أساسا على فكرة التواصل، ببيان قيمة العنصر أو دوره في الجملة، بعده واحدا من مكونات عناصر الإبلاغ العام"[1]، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول مفهوم التداولية وتساؤلاتهم عن مدى جدواها، إلا أن معظمهم يرى أن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل، وقد جعلها أحمد المتوكل نوعين: داخلية وخارجية، حيث "تتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها وتشمل البؤرة والمحور، أما الوظائف الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة حيث تستند إلى مكونات خارجة عن الجملة وتشمل وظائف المبتدأ والذيل والمنادى"[2]،

أما فيما يخص مهمة الوظائف التداولية، فإنها تتلخص في تحديد وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية بالطبقات المقامية المتاحة، فهي وظائف مرتبطة بالسياق والمقام وبمدى إنجازها في واقع التواصل، باعتبار أن "الدرس للغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجردة، وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"[3]، ما من شأنه أن يحقق نجاح الدراسة التداولية التي تهتم بالتواصل بشكل عام، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات على السامع وعناصر السياق، وقد تتعدى ذلك لتشمل" الدراسات المقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى ثقافات متباينة"[4] .

التحليل التداولي للخطاب:

لايزال تحليل الخطاب يشغل اهتمام الباحثين في مختلف المجالات المعرفية، فموضوع تحليل الخطاب هو الجامع بين عدة علوم كالعلوم الإنسانية وعلم اللسانيات وغيرها من

(1) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر. سنة2009، ص 118.

(2) ينظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط01، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1405ه/1985م، ص26،

(3) عبد الهادي بن طافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة تداولية لغوية-، ط01، الكتاب الجديد، 2004، بيروت، ص23.

(4) عبد الهادي بن طافر الشهري، مرجع سابق، ص24.

العلوم، وبين نظريات متعددة كنظرية أفعال الكلام ونظرية التلفظ ...، باعتبار التلفظ يحدد الجانب اللغوي، وأما السياق فيحدد الجانب غير اللغوي، وهذا ما تجمع بينهما النظرية التداولية، وعليه " يشكل التلفظ أساس التداولية، إذ دون الأولى لا تتحقق الثانية كعملية، وذلك عندما تتخذ التداولية معنى جريان الكلام على اللسان أي اكتساب اللغة وتوظيفها في ممارسة وتفاعلl'interaction" [1]، ونظرا لهذا التعدد والثراء أضحت الضرورة ملحة لتطوير موضوع تحليل الخطاب حتى يتماشى والتطورات الحاصلة في شتى الميادين، ومن هنا فقد كان لظهور اللسانيات التداولية في الوسط اللغوي بداية قوية لتحليل الخطاب "وبذلك تمكن المخاطب من استنتاج عدد من القضايا المستخلصة من القول ذاته واستنتاج محتواها بالاستناد إلى ما يحيط به من أوضاع مختلفة"[2]، وعليه يظهر هدف اللسانيات وهو دراسة الملفوظات في تجمعها وحركيتها.

إن اللسانيات التداولية تهتم بفعل التلفظ وبالفعل الإنجازي وما يتحقق من فعل تأثيري، وهذا يتجلى في الخطب الإصلاحية للإبراهيمي، والتي كان لها وقع طيب في نفوس المتلقين لما أتاه الله سبحانه من حسن بيان وتفقه في الدين وتنويع في أساليب الخطاب مستعملا الحجة الدامغة والبرهان الساطع من الوحيان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

إن تحليل الخطاب يتصل مباشرة بالأفعال الكلامية التي تبرزه وتجعله متفتحا على التأويل، ما ينجر عنه إنجاز فعل الإخباريات حسب ما ذهب إليه سيرل أو فعل تقريري بلغة "أوستين"، ومن هنا يمكن اعتبار كل خطاب فعل كلامي شمولي محمل بقوة إنجازية تأثيرية، وعليه فالعملية التأويلية موصولة بالمصلحة والزمان والمكان والمرجع.

إن ذوق المتلقي وتكوينه المعرفي ومدى اهتمامه بالموضوع، كل ذلك يلعب دورا بارزا في عملية التلقي التي تعكس مدى التأثير والتأثر على الفعل الفكري والحسي أي ردة فعل المتلقي، كما أن الفعل التأثيري ليس مرتبطا فقط بالمتلقي وإنما يشمل نية المخاطب ومقصده، ومن ثم يظهر مدى انعكاسها في تأثر المخاطبين وردود الأفعال التي يمكن أن يحدثها الفعل الإنجازي في المتلقي في أفكاره ومشاعره ومزاجه، والله عز وجل أخبر رسوله الكريم ﷺ أن يقول للمشركين قولا بليغا، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾. النساء، 63.

(1) -ذهبية حمو، لسانيات التلفظ، ط02، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2012.ص11.

(2) ذهبية حمو: مرجع نفسه، ص135.

الجانب التطبيقي: المتكلم /الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودلالات الخطاب الذي يقدمه

إن المتكلم في الخطبة هو علم من أعلام الأمة الجزائرية المسلمة العريقة في مجدها، الشامخة في شرفها، الأصيلة في كرامتها، على الرغم من كيد المستعمر الفرنسي الغاشم الذي ظل قرابة القرن ونصف القرن ينفث سمومه في الأمة الجزائرية ساعيا لطمس هويتها، ولكن الله خيبه في مسعاه فظلت الأمة الإسلامية ثابتة على دينها الإسلامي معتزة بلغتها لغة القرآن الكريم مدافعة عن وطنها المفدى، يقيض لها الله من يدلها على ذلك بكلمة جهيرة رنانة لتبقى ثابتة على الحق بفضل الله تعالى لا تلين لها قناة ولا تفتر لها عزيمة، ومن الأدلة على ذلك الخطاب الإصلاحي للشيخ البشير الإبراهيمي.

الإبراهيمي هو ذلك الرجل المناضل الذي حباه الله حسن بيان وقدرة على مخاطبة المثقف والمتعلم والعامي والنخبة على حد سواء مقدما الحجة البالغة من الحق المبين القرآن والسنة، في زمن يصعب أن يجهر بذلك، فعيون المحتل شاخصة متربصة وسوط جلادهم في يده، وعلى الرغم من ذلك أفلح الشيخ الإبراهيمي في تبليغ رسالته الإصلاحية، فنجده يخبر تارة ويوجه أخرى، ويدلل في الأولى والأخرى بالبرهان الساطع، وهذا ما يجذب المتلقين ويأثر فيهم.

كما يتميز خطاب الإبراهيمي بالشمولية، إذ يندرج ضمن التداولية العامة التي تدرس التنظيم الشامل للفعل المنجز وعلاقته بالسياق، لأن" الأفعال من حيث هي أفعال مجردة، كالمعاني والدلالات، هي أمور قصدية معنوية، وتتعين بحصول ضروب الإنجاز الملاحظة كما تتعين ضروب الدلالات بحصول ضروب التلفظ"[1]، كما يكشف الخطيب عن إخباريات تعبر عن أفعال تصف الأحداث في الخارج ما من شأنه أن يعطي قوة إنجازية دافعة، وتندرج هذه الإخباريات ضمن سلوكيات حسب ما ذهب إليه " أوستين"، وهي كفعل كلامي أشمل بلغة "سيرل"، فالخطاب يتوجه وهو يحمل هم أمة ومستقبل وطن، وفي الوقت ذاته يصور حال الشعب ويقدم رسالة نبيلة، وهي أفعال أدائية ينتج عنها قوة إنجازية.

إن الخطبة مجموع مركب غير قابل للتجزئة ولا للفهم المتجزئ، والأفعال الإنجازية فيها تمثل قوة إنجازية تظل لازمة للعبارات اللغوية في مختلف المقامات، إذ يعد " الفعل الإنجازي

(1) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ط01، عالم الكتب، لقاهرة، 1998، ص310.

وحدة أساسية لتكوين النص"[1]، والمتأمل في كتابات الإبراهيمي الإصلاحية يجد بناءً فنيا رصينا ذا قوة إنجازية فعالة تجليها تلك الأبعاد الجمالية من بداية الخطاب إلى ختامه، فنلاحظ في الخطبة الواحدة تعبيرا وإخبارا وأفعالا تندرج جميعها ضمن فعل الخطيب الذي جمع بين عنصري الفن والجمال، الفن -نص المؤلف-، والجمال -الأثر في نفس القارئ -، حيث أن "الوقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ، فإن تحققه هو بشكل واضح، نتيجة تفاعل الاثنين"[2].

إن استخدام الأفعال الإنجازية الفرعية في دعم الفعل الإنجازي المهيمن من شأنه أن يجنب الخطيب سوء الفهم وردود الفعل غير المرغوب فيها، وتبقى القوة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي ترد فيها، فتحليل بنية الإنجاز تعرف " على أنها تتابع من أفعال لغوية أساسية، تبين لصورة متدرجة تسمى أفعال إنجازية، ويعد الفعل الإنجازي وحدة أساسية لتكوين النص"[3]،وحين نفهم الخطبة بشكل شامل فإنه يغدو من الضرورة "فهم الأجزاء، في حين أننا لكي نفهم الأجزاء لا ينبغي لنا إلا استيعاب شيء من الكل"[4]، ولاستيعاب خطب البشير الإبراهيمي نقوم بتطبيق نظرية الافعال الكلامية، وهذا بالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان ج. ل. أوستين وتلميذه ج. سيرل حول هذا المفهوم اللساني – التداولي الجديد، حيث يقصد بالفعل الكلامي في مفهومهما "التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة"[5].

ومنه يتحقق الفعل التأثيري الذي يعبر عن جملة من الأثار المترتبة عن الفعل الإنجازي كما ذهب إليه " أوستين"، عندما تقول شيئا يترتب عليه حدوث أثر على المخاطبين في نفوسهم وأفكارهم ومن ثم تصوراتهم، لاتفاق الفعل الإنجازي مع الفعل التأثيري.

---

(1) -كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج-، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط01، مؤسسة المختار، القاهرة، 1425هـ/ 2005م ص118.

(2)، سوزان روبان سليمان، إنجي كروسمان، القارئ في النص، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، سنة 2007، ص 130.

(3) كلاوس برنيكر، مرجع سابق ،ص118.

(4) ديفيد كونز هوي، الحلقة النقدية – الأدب والتاريخ والهيرمنيوطيقا الفلسفية،، ترجمة خالد حامد، ط01،منشورات الجمل، بغداد،، 2007، ص05.

(5) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-، ط1، دار ا لطليعة، بيروت، 2005، ص10 ،

ولإيجاد القوة الإنجازية من خلال مختلف الأفعال الكلامية، فإنه وجب التفرقة بين" أفعال كلامية رئيسة وأفعال كلامية مسيطرة، وهي التي يكون تحقيقها بنجاح قائما على مساندة من أفعال كلامية فرعية أو أفعال كلامية مساعدة "[1]، وفيما يلي استعراض ما جاء في الخطبتين:

الخطبة الأولى:

أولا : فاتحة الخطبة

بدأ الإبراهيمي خطبته بحمد الله والثناء عليه، وهو الله سبحانه المستحق للحمد وحده، وهذه الفاتحة ضرورة لابد منها في أي خطبة، وقد تتخلل هذه الإخباريات assertifs أفعال الإيضاح ex positifs التي تبين عمل هذه الإخباريات في فاتحة الخطبة من ترسيخ الطمأنينة وتثبيت الإيمان الذي يعد المحرك للفعل المنجز للعمل في القلوب، من خلال معرفة أن الأمر كله بيد الله وحده من قبل ومن بعد، وتتعدد فيها أفعال الإيضاح وهي تعد أفعال إنجازية من قبيل: نستعين الله، ونستهديه، ونستغفره، ونسأله، ونشكره، وهي أفعال دلالية تنتمي إلى حقل واحد يستهل بها الإبراهيمي خطبته ويلخصها الإبراهيمي في قوله : "فلولا توفيق الله ما تم عمل، ولولا إعانته ما ظفر راغب بأمل"[2] ،وتكتسب هاته الأفعال قوتها الإنجازية بتسيدها للفعل الإنجازي، وتتلخص القوة الإنجازية في الشهادتان اللتان تعبران عن النية الحسنة والمقصد الشريف، إذ لا يقبل العمل الشرعي إلا إذا كان خالصا لله وصوابا أي موافق للسنة النبوية المطهرة، إن الأفعال التوجيهية تحث المخاطب على تأدية ما طلب منه وتحمله على القيام بفعل معين.

أشهد أن لا إله إلا الله	إخبار عن يقينيات	قول بالسان
		واعتقاد جازم بالجنان
وأن محمد عبده ورسوله	في عقيدة المسلم يصدقها العمل	وعمل بالأركان

كما تبين استراتيجية النداء توجهات الخطيب للمخاطبين:

(1) فولفنج هاينه من، ديتر فهيفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، العربية السعودية، 1419هـ، 1999م، ص 140.

(2) ينظر - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- أيها الناس
- عباد الله

احمدوا الله تعالى على الهداية
واسألوه أن تكون كل ساعة تأتي خيرا مما قبلها.
احرصوا، اتقوا الله تعالى
حافظو على حدوده...

لم ينوع الإبراهيمي في أساليب النداء ولم يكثر من توظيفه، وهذا يدل على أنه رأى من الجمع الحاضر الإنصات وحسن الاستماع فلا حاجة لزيادة تنبيهم بالنداء.

ثانيا/ الزمـان:

يوم الجمعة، جعله الله خير مخلوقاته من الأيام، ويعد غذاءً أسبوعيا للروح يشحذ الهمم وينميها ويصفي الروح ويزكيها ويقوي العلاقة بين العبد وربه ويرقيها - إنه باختصار عيد المسلمين -، وقد أخبر ﷺ عن يوم الجمعة قال: "خيرُ يوم طلعت عليه الشَّمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقومُ الساعة إلا في يوم الجمعة". صحيح مسلم.

ومن ثمرات هذا الغذاء الأسبوعي تقوية الإيمان بالله، فإذا تحقق ذلك سهل التغلب على الصعوبات ومنه محاربة المستدمر الغاشم وطرد فلوله من أرض الجزائر، يقول الإبراهيمي "إن يومكم هذا من الأيام المشهودة، وسمه دينكم بسمة هي الغرة اللائحة في جبين الأيام، وهي هذه الشعيرة التي تقيمون أركانها وتجتمعون لأجلها"[1]، وقد نجح الإبراهيمي بأسلوبه الشيق وبلغته العالية ومحتواه الديني وحرصه على الهوية واقتباسه من القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يتحدث عن يوم الجمعة بألفاظ حسنة ومعان عميقة، فاقتبس لفظة الأغر التي تختصر جمالية هذا اليوم، وهذا مقتبس من قوله ﷺ: "إنَّ أُمَّتي يُدْعَوْنَ يَومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ". صحيح البخاري.

اليوم ----- الأغــر ----- إخباريات تدل عن الفرحة.

وهذه الإخباريات تجسد علاقة القوة الحجاجية بالفعل الكلامي لمعرفة القدرة الإقناعية - قوة وضعفا- حتى يتحقق أهداف المتكلم، والأقوال البلاغية تلعب دورا تحليليا

(1) محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ص64.

داخل الحجاج حتى يبين أهدافه ويستميل المخاطب، كما يتوجه الخطيب في سياق آخر بفعل الطلب في قوله" فاحرصوا رحمكم الله حتى تكون لحياتكم قيمة، واربؤوا على أن تكون في كفة النحس والهضيمة، واسعوا في الوصول بها إلى القيم الغالية، والحصول منها على الحصص العالية"[1]، ويأخذ هنا منحى تداولي متجها للغرض ليكون أثر استجابة لطبيعة النص الديني في صناعة الأفعال والمواقف، فاللفظ الجيد يستوحيه الإبراهيمي من القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ليضفي على تعبيراته أفعالا إنجازية يجب أن يمارسها الناس وتتلخص في وجوب التمسك بدين الحق دين الإسلام، لأنه بقدر التمسك بدين الإسلام يكون الرقي والسعادة في الدارين وتوفيق الله لعباده، وهذا يؤدي إلى قوة إنجازية لها بالغ الأثر في المتلقين وهذا ما يسمى بالبعد التأثيري ما جعل الأفعال الكلامية في خطبة الإبراهيمي تتعدى الكلام إلى مستوى دلالي ذو أبعاد متعددة، إذ لابد "من ملاءمة الأسلوب للموضوع، كما يتصوره المستمع أو المتلقي، إذ كثيرا ما تؤدي هذه الملائمة إلى تفادي الانفصام، وتقوم العناصر التي يمكن تأويلها بأنها علامات على العفوية، بدور فعال في تلاؤم الأسلوب الإقناعي وزيادة درجة الاقتناع به بالتالي"[2].

ثالثا/ المكـــان:

المسجد، ويعد رمزا للوحدة ويسمى جامعا لأنه يجمع الناس في مكان واحد على الخير والحق، وقد أخبر عنه ﷺ فقال: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها".صحيح مسلم. فالمسجد يكثر فيه ذكر الله سبحانه وتعالى، وتجد الناس في المسجد صفا واحدا يشد بعضه بعضا، ميممين وجوههم نحو قبلة واحدة يعبدون الله وحده، فكل هذا يرمز للوحدة.

المسجد -- -- بيت التوحيد ---- دور بارز في حفظ الإسلام حفظ الهوية.

والفعل المنجز هنا يتوصل للمتلقي من خلال دعوته للعمل والمثابرة بعد شكر الله سبحانه وحمده ويتمحور في عدة عناصر كالآتي:

قول الإبراهيمي "فاحمدوا الله تعالى على الهداية[3]، يتجلى الفعل المنجز في افتتاح

(1) محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ص65.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992.

(3)محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، ص65.

المسجد والذي بدوره يدل على التغير للأحسن.

أما في قول الشيخ الإبراهيمي "واسألوا الله أن تكون كل ساعاتكم خيرا ممن قبلها[1]

فهنا الفعل المنجز يتلخص في الدعوة إلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر والسعي للتحرر من المحتل الفرنسي الغاشم.

وربط الإبراهيمي بين الفعل المنجز وقيمة الأعمار بقوله "ومن لا أثر له في الدين يمتثل أمر ربه، ولا أثر له في الدنيا تزدان به صحيفة كسبه فوجوده عدم وعقباه ندم وحياته مسلوبة الاعتبار... [2]، وهنا إخباره عن سنن الله في خلقه التي لا ينفع معها تبرم ولا تسخط ولا كسل وإنما توجب الاجتهاد في الأخذ بالأسباب المشروعة ومنها الجهاد في سبيل الله مع وجوب الإيمان بقضاء وقدر الله الواقع كل شيء بمقتضاه، وحسن التوكل على الله خالق الأسباب والمسببات والمقدر لكل شيء سبحانه عدلا على العباد أو فضلا، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ (القمر،49). وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ (الزمر، 62). ويرسل الإبراهيمي توجهات طلبية على النحو الآتي:

فاحرصوا ---- على أن تكون لحياتكم قيمة.
اربـــأو ---- أن تكون في كفة النحس والهضيمة.
اسعـــوا ---- الوصول بها إلى القيم الغالية.
الحصول ---- على الحصص العالية.

وهاته التوجهات الطلبية عبارة عن أفعال إخبارية تخص الأعمال التي لها قيمة تتجسد من بعد على شكل أفعال إنجازية وجب تحققها حتى تصلح الأعمال وتحسن النيات، هاته الأعمال لخصها الإبراهيمي في نوعين: النوع الأول وظائف العبادات لله أي إخلاص العبودية لله وحده، والنوع الثاني : السعي نحو العمارة والتشييد في الحياة الدنيا.

الخطبة الثانية:

وتكون الخطبة الثانية أقصر من الأولى:

تأتي الأفعال الإنجازية في الخطبة الثانية على شكل تو جهات طلبية كالآتي:

(1)محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(2)ينظر محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

اتقـــوا ---- تقوى الله تعالى.

حافظوا ---- على حدود الله في السر والنجوى.

امتثلوا ---- امر ربكم الذي أكسبكم به فخرا وتعظيما.

واعلموا ---- أن يومكم هذا خصص للاجتماع والعبادة والحسنى والزيادة.

أقيمـوا ---- القصد في التقرب من بعضكم.

تدعـوا ---- الأحقاد والتباغض.

أسبلوا ---- لباس الستر والعفو.

الزمـوا ---- خلق الرضا والصفح.

النتيجة: كونوا عباد الله إخو انا رحماء فيما بينكم[1]

ويختم الإبراهيمي، بتذكير المخاطبين بآيات بينات من الذكر الحكيم فيها ذكر نعم الله تعالى على عباده مع دعاء الله رب كل شيء ومليكه أن يثبتهم على نعمة دين الإسلام، وهذا ما يناسب الخطبة الثانية، أين أورد قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ...١٠٣﴾. (آل عمران، 103). وقول الله تعالى الذي يأمر الله فيه عباده بأن يدعوه به: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ٨﴾. (آل عمران، 08)، وهذا من شأنه أن يجذب المتلقين ويأثر فيهم .

التأثيـر:

إن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان الاتفاق، وتؤكد تعبيرات الإبراهيمي على القوة الإنجازية ودورها المقصود والمحقق مع ربط العلاقات الداخلية والخارجية بين الخطيب والمخاطبين، فالخطيب يجتهد في "كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه"[2]، حتى يتحقق المقصد من خطبة الإبراهيمي وهو عمارة القلوب بالإيمان بالله، لأن القلوب إذا عمرت بالإيمان بالله تعلقت بصفاء العقيدة كما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله

(1)محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، 65.

(2) عبد الهادي بن طافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة تداولية لغوية-، ط01، الكتاب الجديد، 2004، بيروت، ص22.

عليهم أجمعين على عقيدة أهل السنة والجماعة، فإذا تحقق هذا فإن الأمة تحقق المعجزات وتتغلب على الصعوبات وترشد في جميع أمرها بفضل الله تعالى، كما يدعوا الإبراهيمي إلى ضرورة نبذ الشقاق والتقاطع بين الأمة الواحدة، ويقدم حججا وبراهين وحكما ليدفع بالجموع نحو غد أفضل يوفقهم الله إليه، أما الفعل التأثيري المجسد هنا فيتمثل في لفت الانتباه بالنداء والدعوة، وكذلك تقديم الحجة من القرآن والسنة كل ذلك من الأفعال التأثيرية التي ترمي لإقناع المخاطب من خلال إثارته وشد انتباهه، كما أن الأفعال التوجيهية تجعل المخاطب يسعى لكي يؤدي ما طلب منه وتحمله على القيام بفعل معين.

وفي خطبة الإبراهيمي قوة إنجازية منظمة من علاماتها الاحتفاء بيوم الجمعة، والاحتفال بفتح المسجد هو احتفال بنصر جديد على الاحتلال الفرنسي، ولاشك أن الحضور في المسجد لابد أن يكون منصتا للخطبة وسامعا للصوت، فالصمت هنا فعل تأثيري فالكل مشغول بالتفكر في الحال وطريق إصلاح المآل، ودليل الإنصات هو صلاة الجمعة نفسها، فقد قال ﷺ: "مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَصَلَّى ما قُدِّرَ له، ثُمَّ أَنْصَتَ حتَّى يَفْرُغَ مِن خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي معهُ، غُفِرَ له ما بيْنَهُ وبيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى، وفَضْلُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ". صحيح مسلم.

خاتمة:

- يسهم التحليل التداولي في تسليط الضوء على عدة جوانب جمالية في الخطاب بما فيه الخطاب الإصلاحي، وهذا راجع لاهتمام التحليل التداولي باللغة وارتباطها بالسياقات الخارجية، وهذا لا يتأتى في الكثير من الدراسات الأخرى.

- استعمل الخطيب جملا إنجازية تشتمل على أفعال مضارعة، تفيد الإنجاز وتدل على التفاعل وتبعث على الحركية.

- تتواتر العديد من الإخباريات ضمن الخطبة لتصف الأحداث من الخارج، وهذا من أهم الجوانب التي تركز عليه الدراسة التداولية، وبالمقابل تفسر هذه الإخباريات تركيز جمعية العلماء المسلمين على جانبي التربية والتعليم.

- الخطيب يستعمل أسلوب الحجاج مراعيا الفروق بين المستمعين، وهذا من شأنه أن يبلغ الرسالة بكل دقة وبأقل جهد.

- نوع الخطيب في توظيف أدوات نحوية انجرت عنها أفعال كلامية مرتبة ترتيبا منطقيا ينسجم مع طبيعة الخطاب.

- من أبعاد التحليل التداولي الربط بين اللغة والسياق، وفي الخطبة حيثيات الزمن والمكان والمقال تتواشج فيما بينها لتبين ما أعده الخطيب للقارئ من مواعظ، وتظهر في الجانب الآخر رغبة المتلقين للاستماع للخطيب بآذان صاغية وقلوب واعية، وقبول النصح والإرشاد.

- تتجلى طلبيات الخطيب بتوجيهات للشعب الجزائري، فالفعل الإنجازي هو الحث على ضرورة التمسك بدين الحق دين الإسلام موظفا مقدمات توضيحية تبنى عليها نتائج حتمية.

- يهتم التحليل التداولي بفكرة التأثير والتأثر، وهذا يظهر جليا في كل مراحل الخطبة، ويزداد وقعه حين يختم الإبراهيمي خطبته بالدعاء، وذلك بانتقاء أدعية مأثورة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو من لوازم الخطبة، ويجب فيه ما يجب في الاستهلال من براعة، لأن المقدمة أول ما يطرق سمع المتلقي، والخاتمة آخر ما يبقى صداه يتردد في ذهن المتلقي ويخالط وجدانه، وهذا من شأنه أن يؤثر في المتلقين تأثيرا بليغا.

المراجع

المراجع العربية:

- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط01، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1405هـ/1985م.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية –محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-، ط1، بيت الحكمة، الجزائر. سنة2009.
- دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسن، ط01، عالم الكتب، لقاهرة، 1998.
- ديفيد كونز هوي، الحلقة النقدية – الأدب والتاريخ والهيرمنيوطيقا الفلسفية،، ترجمة خالد حامد، ط01،منشورات الجمل، بغداد،، 2007.
- ذهبية حمو، لسانيات التلفظ، ط02، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2012.
- سوزان روبان سليمان، انجي كروسمان، القارئ في النص، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، سنة 2007.

- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، - دراسة تطبيقية على السور المكية، ج01، ط01، دار قباء، القاهرة، 1431هـ، 2000م .
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- عبد الهادي بن طافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة تداولية لغوية-، ط01، الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
- فولفنج هاينه من، ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، العربية السعودية، 1419هـ، 1999م.
- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج-، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط01، مؤسسة المختار، القاهرة، 1425هـ/ 2005م .
- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-، ط1، دار ا لطليعة، بيروت، 2005.